“مجزرة كتشاوة”.. عندما قتلت فرنسا 4 آلاف مصلٍّ جزائري

كتبه عائد عميرة | 21 ديسمبر ,2021

احتلت فرنسا الجزائر لأكثر من 130 عامًا، خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة مارست قوات الاستعمار الفرنسي أبشع الجرائم بحقّ الجزائريين، من قتل وتعذيب وطمس للهوية وتزوير للتاريخ والحقائق وسرقة الثروات وتقسيم البلاد والشعب.

بعض الأماكن ما زالت تحكي جرائم فرنسا في هذا البلد العربي، فالفرنسيون لم يدخلوا مكانًا إلا وتركوا فيه بصمتهم الإجرامية، حتى الأماكن المقدسة لم تسلم من بطشهم، من ذلك مسجد كتشاوة الذي تروي حوائطه وأعمدته وأسواره بربرية الفرنسيين وتوحُّشهم وتخلُّفهم.

في هذا التقرير لـ”نون بوست”، سنحكي عن واحدة من أبشع الجرائم الفرنسية بحقّ الجزائريين، التي دارت أحداثها في مسجد كتشاوة قبل 190 عامًا بالتمام، تحديدًا في ديسمبر من عام 1832، وما زالت أحداثها عالقة في مخيلة الجزائريين حتى أبسط تفاصيلها.

ضرب الهوية الإسلامية

عام 1520، أمر أكبر قادة الأساطيل العثمانية وحاكم الجزائر آنذاك، خير الدين بربروس، ببناء مسجد أُطلق عليه اسم "مسجد كتشاوة" نسبة إلى سوق الماعز الذي يقام في ساحة مجاورة له، وفي عام 1794 تمَّ توسيع هذا المسجد بأمر من الداي حسين باشا، ليحاكي الحضارة التي وصلت لها الجزائر في ذلك الوقت، فتمَّ رفع مآذنه وصومعته وأعمدته كذلك، وعمل الداي حسين على نقشه بزخارف فنية راقية.

أكّد مسجد كتشاوة صلابة العلاقات الجزائرية العثمانية، فهو مثال حيّ للشراكة والأخوة بين الجانبين المسلمين، فقد كان قِبلة طلاب العلم من كلّ مكان، يتوافدون إليه لتعلُّم تعاليم الإسلام السمحة وحفظ القرآن الكريم وسنّة النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، أي أنه كان مركزًا لنشر الإسلام في المنطقة ككُلّ وليس الجزائر فقط.

عام 1830، احتلت فرنسا الجزائر ولم يرُق لها أن يبقى في البلاد أي أثر إسلامي، فقد كانت تسعى إلى تنصير المجتمع الجزائري -رغم تعهّدها رسميًّا باحترام تعاليم الإسلام-، فاتخذت ضرب الهوية الإسلامية منهجًا.

> قرّر الاحتلال الفرنسي قتل المصلّين وهم عُزّل، إذ حاصر المسجد وأخرج المسلمين عنوة إلى الساحة المجاورة وتمّت ابادتهم جميعًا رميًا بالرصاص.

عقب دخولها الأراضي الجزائرية وسيطرتها على البلاد، قررت سلطات الاحتلال الفرنسي استخدام مسجد كتشاوة التاريخي كمستودع للسلاح وفي مرّات كإسطبل، إلى أن تمَّ تدميره عام 1844 من قبل الجنرال الدوق دو روفيغو القائد الأعلى للقوات الفرنسية، الذي كان تحت إمرة قائد الحملة الفرنسية الاستعمارية دوبونياك.

قررت إدارة الاستعمار تحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية، في الأثناء قام الجنرال الدوق دو روفيغو بإخراج آلاف المصاحف من المسجد إلى الساحة المجاورة وتمزيقها وإحراقها على الملأ، في مشهد يُحاكي ما حصل في بغداد، عندما أحرق هولاكو مكتبة بغداد إثر احتلالها في القرن الثالث عشر ميلادي.

كان الهدف من كلّ ذلك محاولة سلطات الاحتلال الفرنسي ضرب كل ما يمتّ بصلة للشريعة الإسلامية، والقضاء على مقومات الجزائر التي تشكّل الثقافة العربية والإسلامية والأمازيغية نسيج شخصيتها، في مسعى منهم للسيطرة على البلاد والمجتمع.

نون بوست

إبادة 4 آلاف مصلٍّ

كان مشهد إحراق كتب القرآن الكريم على مرأى الناس مرعبًا، فقد مسّ قدسية المسجد والأماكن المقدسة بشكل عام، فصعد خطيب المسجد إلى المنبر يدعو الجزائريين إلى إنقاذ كتشاوة، فانتفضَ سكان العاصمة على هذا الأمر، الذي اعتبروه مساسًا بحرمات الدين الإسلامي، وهبّوا لنصرة دينهم الإسلامي الذي انتُهِكَت مقدساته.

اعتصم ما يزيد عن 4 آلاف جزائري داخل المسجد وأمامه، دفاعًا عنه، غير أن الجنرال الدوق دو روفيغو لم يتوانَ في قتلهم والتنكيل بهم في ساحة الشهداء، وقال جملته المشهورة: "يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين".

قرّر الاحتلال الفرنسي قتل المصلّين العزل، إذ حاصر المسجد وأخرج المسلمين عنوة إلى الساحة المجاورة وتمّت إبادتهم جميعًا رميًا بالرصاص، قُتل أكثر من 4 آلاف ببشاعة بعد دفاعهم عن مسجد كتشاوة ومقدساتهم الدينية، فكانت هذه المجزرة إحدى أفظع الجرائم الاستعمارية الفرنسية بحقّ الجزائريين.

بعد أن أبادت المصلين، قامت سلطات الاستعمار الفرنسي بتنظيف المكان من الدماء المتناثرة في كلّ مكان ونقل الموتى، بعدها أقام الاستعمار أول صلاة مسيحية فيه وذلك ليلة عيد الميلاد 24 ديسمبر/ كانون الأول 1832، احتفالًا بتحويل المسجد إلى كاتدرائية ومكان تعبُّد للمسيحيين، فقد كان هدفهم تنصير المجتمع وطمس هويته الإسلامية والعربية.

في الأثناء، تمَّ تغيير اسم المسجد إلى كاتدرائية القديس سانتا فيليب، كما أُدخلت تغييرات عديدة في شكله، إذ تمَّ تزيينه بزينة أخرى وُضعت مكان المعالم الإسلامية، وهي عبارة عن هدايا قُدِّمت من الملكة إميلي زوجة لويس فيليب والبابا غريغور السادس عشر، على غرار تماثيل للقديسين والصليب الذي وُضع على قمّة المسجد مكان الهلال، والأقمشة التي غطّت نوافذه وغيرها لينسجم مع طابع البناءات الكنيسية وطمس كلّ أثر إسلامي فيه.

همجية فرنسا

لم تكن مجزرة مسجد كتشاوة إلا إحدى المجازر الشاهدة إلى يومنا هذا عن مجازر فرنسا بحقّ الجزائر، فالفرنسيون تفنّنوا في تعذيب الجزائريين للاستفراد بثروات بلادهم وطمس هويتهم باستخدام كل الإجراءات الممكنة والمتوفرة لديهم، كأنهم سيخلّدون فوق هذه الأراضي.

من هذه الجرائم التي ما زالت ماثلة في أذهان الجزائريين، مجازر 8 مايو/ أيار 1945، ففي ذلك اليوم سقطَ آلاف الشهداء (45 ألفًا بحسب إحصاءات الذاكرة الوطنية الجزائرية) في مدن مختلفة في الجزائر برصاص الشرطة والجيش وميليشيات المستوطنين، بسبب رفع الجزائريين لعلم بلادهم.

ليس هذا فحسب، فقد استعملَ الفرنسيون أهل الجزائر كفئران تجارب، ففي صباح يوم 13 فبراير/ شباط 1960، استيقظَ سكان منطقة رقان الواقعة بالجنوب الغربي الجزائري نحو الساعة السابعة وأربع دقائق على وقع انفجار ضخم ومريع.

لم تسلم جماجم الجزائريين، فقد تعمّد الفرنسيون سرقة جماجم العديد من ضحاياهم والاحتفاظ بها في علب من الورق المقوّى.

قرّرت فرنسا أن تجعل من سكان الجزائر حقلًا للتجارب النووية، حيث فجّرت القنبلة الأولى هناك تحت اسم "اليربوع الأزرق"، تيمُّنًا بأول لون من العلم الفرنسي، بطاقة تفجيرية ضخمة، لم يسبق لسكان الجزائر السماع بمثلها، أدّى ذلك إلى ظهور عدة أمراض سرطانية وجلدية وتنفُّسية لسكان المناطق التي شهدت هذه التفجيرات، التي وصفها عديد الجزائريين بالوحشية وصُنِّفت في خانة الجرائم ضد الإنسانية.

مجازر الفرنسيين في حقّ الجزائريين لم تكن داخل التراب الجزائري فقط، حيث وصلت عاصمة بلادهم باريس، ففي 17 أكتوبر/ تشرين الأول 1961 تحوّل شارع سان ميشال بالعاصمة الفرنسية إلى مسرح لواحدة من أكبر المذابح بشاعة في تاريخ أوروبا الغربية المعاصر.

مساء ذلك اليوم تمَّ تنظيم مظاهرات بدعوة من فيدرالية جبهة التحرير الوطني بباريس، ضد قرار حظر التجول التمييزي الذي أصدره حاكم الشرطة موريس بابون ضدّهم، وتضامنًا منهم مع إخوانهم الذين يقاتلون في الجزائر، وكان ردّ الشرطة الفرنسية عنيفًا، رغم أن المسيرات كانت سلمية.

قمعت السلطات الفرنسية المظاهرات بشكل وحشي باستخدام العصي والقنابل المسيلة للدموع والرصاص، ما أدّى إلى مقتل وفقدان المئات وإصابة الآلاف، واعتقال نحو 30 ألفًا، وترحيل نحو 20 ألفًا منهم للجزائر، وغيرهم ممّن وُضعوا في المعتقلات، كما قام الفرنسيون برمي جثث عدد كبير من الجزائريين في نهر السين للتغطية على بشاعة جرائمهم.

حتى الجماجم لم تسلم منهم، فقد تعمّد الفرنسيون سرقة جماجم العديد من ضحاياهم والاحتفاظ بها في علب من الورق المقوّى، داخل خزانات حديدية في قاعة منعزلة بمتحف "الإنسان" بعيدًا عن مرأى العموم؛ ومن بين القادة المحفوظة جماجمهم في فرنسا، الشيخ بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة عام 1949، وشريف بوبغلة الذي تزعّم القتال ضد المستعمر في منطقة القبائل "وسط

الجزائر" في مطلع عام 1850.

ليست هذه سوى عيّنات من جرائم فرنسا في حقّ الجزائريين، رغم ذلك لم تعتذر باريس عنها بصورة رسمية، وما زالت تُكابر وتحاول أن تضع اللوم على الجزائر، وتستشيط غضبًا من الأتراك والعثمانيين الذين جمعتهم بالجزائريين علاقات شراكة وأخوة دامت ثلاثة قرون لا يذكرها الشعب تالجزائري إلا بكل خير.

رابط المقال : https://www.noonpost.com/42178/